Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويدور الزمن دورات حتى القرن السادس الهجرى، وإذا بغداد خائرة القوى خورًا جعل الشام تستيئس من نصرتها لها فى محنتها مع الصليبيين، ويعرف نورالدين ببصيرته النافذة أن لا أمل فى استئصال جذورهم والقضاء عليهم بدون مصر، وينتدب للمهمة الخطيرة صلاح الدين الأيوبى وعمه أسد الدين، وسرعان ما تتجمع قوى القطرين الشقيقين، وتسدَّد إلى الصليبيين ضربات قاصمة تحطم جموعهم حطمًا وتهدم حصونهم هدمًا وتملأ الأرض عليهم هولا. وتظل فلول منهم ببعض الثغور، ويطردهم منها المماليك إلى البحر المتوسط وما وراءه خاسئين مدحورين. وفى هذه الأثناء يتدافع المغول المغيرون من الشرق وتسقط بغداد فى أيديهم وتغرهم الأمانى، فيتقدمون إلى الديار الشامية ويسحقهم المماليك فى عين جالوت، ويتوالى سحقهم كلما حدثتهم أنفسهم-طوال العصر-بالإلمام بالشام، سحقًا لا يكاد يبقى منهم ولا يذر.

ومن الظلم البيّن لهذا العصر الذى محقْنا فيه المغول والصليبيين ودمَّرْنا جموعهم تدميرًا أن يوصف فى ديارنا المصرية الشامية بأنه كان عصر انحطاط وإعياء فكرى وعقم شديد، لا لما رُدَّ إلينا فيه من قوانا الحربية الضارية فحسب، بل أيضًا لأننا حملنا فى قوة حينئذ أمانة الحضارة العربية، مما جعل بلادنا ملاذًا لعلماء صقلية وأدبائها منذ سقوط جزيرتهم فى أيدى النورمان، كما جعلها ملاذًا أيضًا لأدباء الأندلس وعلمائها منذ أخذت مدنهم تسقط فى قبضة الإسبان. وفى هذه الأثناء كانت النهضة العلمية الأدبية ببغداد قد أصابها غير قليل من العطل، بينما ظلت الحياة العقلية والفنية ناشطة فى ديارنا الشامية المصرية، بل لقد احتدم نشاطها واضطرم اضطرامًا، إذ أذكت مقاومتنا للصليبيين والمغول وانتصاراتنا المدوية عليهم نارنا الفكرية وأمدّتها بحطب علمى وأدبى جزل دفعها إلى التوهج توهجًا قويًا. ومن أجل ذلك نرى ألا توضع سنة ٦٥٦ للهجرة وما حدث فيها من اكتساح المغول لبغداد حدًّا فاصلاً بين عصرين مختلفين فى ديارنا الشامية والمصرية، فقد أخذت تلك الديار منذ القرن السادس الهجرى تتآزر تآزرًا عظيمًا لا فى الميدان الحربى ونضال أعدائها أقوى نضال وأمجده فحسب، بل أيضًا فى